الترجمة : كخيانة عظمى

– نص إبراهيم العريس نموذجا –

ابن عبد الله لخضر
جامعة وهران

لقـد ظلت دزينة من الأسئلة المعرفية تنطرح باستمرار حول إشكالية الترجمة والضوابط التي من شأنها تنظيم العلاقة ما بينها والنص المترجم عل طول رحلة التحول والاجتـياز الاضـطراري له . فمن قائل بالنقل الأمين أو الترقنة Transcodage في مواجهـة الـترجمة المتحررة المتصرفة، إلى معول على أسلوب في التحوير يرمي إلى إيجـاد معادل شكلي Equivalence formelle بدل المعامل الديناميكي Equivalent dynamique ، إلـى فريق آخر يدعى أصحابه بسادة المتن sourciers ويطالبون قلم الـترجمة بضرورة مراعاة مواصفات النص الأصلي في أدق دقائقه أي في معناه، مبناه وموسيقاه ودون اكتراث بما عرف في نظرية القراءة والتلقي بأفق الانتظار الذي يتذرع بهـا فرقاء ينعتون بـ les ciblistes والذين لا ينكرون على وسطاء الترجمة إن كيفوا الـنص وقولـبوه وفق بعض مقتضيات المقام. إلا أنه، ودون رغبة منا في الإفاضة في القول حول تيارت تنظيرية تتجاذب مبحثيات حقل للترجمة لم يتأسس بعد كعلم بذاته وإن هي تسمية كـ Traductologie حاولت الإيهام شططا بذلك . قلت لا أحد من الخائضين في الجدل الدائر خول لنفسه أو أفتى بإمكانية الخروج عن النص الأصلي إلى حد الدخول معه في حالات معلنة لتضاد، أو إلغاء أو ما أشبههما . فالخيانات ، سواء مستظرفة أو

مستلطفة كانت، لم تعد موضع نظرة حاذجة من لدن رجالات النقد خاصة إذا كان في هذا الحول ما يشبه الحور الذي يسبغ على النص من سمات الطلاوة والرونق ما يسبغ . فلا بأس أن تتمخض تجربة الترجمة لنص كافكا "المحاكمة"عن نصين على درجة من التباين برغم كون المنتوج من صنع عريفين خبيرين باللغة الألمانية كـ Bernard Lartholari و Lucien Goldschmidt ، لكـن أن يمضـي وله المترجم بالحرية والتحرر حد التطليق الثلاثي للمعنى الكلي للنص وبالتالي قلب حقائقه الفكرية برمتها: فهذا ما لا يقر به عرف نقـدي ولا نظرية قديمة أو مستحدثة، وهو ما حدث حادثه الخطير للأسف الشديد وتبيناه لحظة العكوف على تدارس وتمحيص نص ترجمة للفاضل الأستاذ إبراهيم العريس . إنها محاولة تخص مؤلفا صدر عام 1967 بالإنجليزية وتحت عنوان BERTOLT BRECHT HIS LIFE ;his art and his Time.

لصاحبه Fredric EWEN.

في هذه الوقفة، سيكون التعويل من قبلنا:

أولا: علـى النسـخة العربية الصادرة عن دار ابن خلدون في طبعتها الثانية، وتحديدا صفحتها 199 التي سنقتطع منها بعض السطور لتكون محط مراقبة منا ومقاربة.

ثانـيا: على نسخة مفرنسة لاعتقاد منا أن هذه الأخيرة كانت النسخة المنطلق مـنها لإنجـاز نظـيرتها العربية عوض العودة إلى الأصل الإنجليزي كما يجب . إنه افتراض سيتبلور طرحه السليم لحظة الاستعراض لمجمل زلات الترجمة.

فـي المسـتهل، سنقتبس من النسخة العربية مقطعا قصيرا نعمل على تدارسه سويا بوصفه محط نزاعنا مع المترجم العربي :

"كانت جان دارك قد أحرقت في مدينة(روان) في عام 1431 . كانت قد حلت الذكرى المئوية الخامسة لاستشهادها ويقينا إنه سيجري الاحتفال بهذه الذكرى بصخب مقصود . مرة كانت تذل، ومرة كانت تكرم ، كانت تلك القديسة قد عرفت كيف تجـذب

منذ موتها عددا كبيرا من الكتاب : وكان "شيكسبير" و "فولتير" قد أمطراها بوابل من الثناء، أما "فريدريك شيللر" و "أندرو لانغ" و "مارك توين" فقد عروها تعريةء وفي عام 1924 عمد "برنارد شو" إلى دراسة دورها التاريخي بأسلوبه المتميز في مسرحية "القديسة جان" أما دقائق محاكمتها، التي كانت قد عرفت بشكل تفصيلي منذ العام 1841 وتطويبها في العام 1920، فكانت قد أوحت إلى "كلوديل" كما إلى "شو" بالرغبة في كتابة شيء حولها".

أما النسخة المفرنسة فتقول في صفحتها 207

Jeanne d'Arc avait été brûlée à Rouen en 1431. Le cinq centième anniversaire de son martyre approchait et serait certainement célébré avec toute la solennité voulue. Tour à tour dénigrée ou vénérée , la sainte avait attiré depuis sa mort bien des écrivains : Shakespeare et Voltaire l'avaient couverte d'approbre ; Friedrich Schiller, Andrew lang, Mark Twain l'avaient portée aux nues ; en 1924 Bernard Shaw avait brillamment étudié son rôle historique dans Sa sainte Jeanne, les minutes de son procès, disponibles depuis 1841, et sa canonisation en 1920 avaient inspiré à Claudel comme à Shaw le désir d'écrire quelque chose sur elle .

تحقيق وتعليق:

تقول أبجدية الدرس التطبيقي في الترجمة أن أولى إجرائيات المقاربة تقتضي من صاحبها أن يعمد ، في قراءات متتالية ، إلى الإلحاح على النص حد خلق حالة استئناس وألفة فيما بينهما تتلوها محاولة تسلل إلى دخيلة النص وممارسة اختراق في العمق لأبعاده الفكرية على أن تتبع العملية بفعل تطاول مدروس على شفرة العلامة اللغوية قصد استحضار معادل موازٍ لها في اللغة الثانية على أن يتركز الجهد لاحقا على مراجعة النص قصد الصقل الختامي له وإعادة الصوغ لمكوناته البلاغية الأسلوبية وفق

شـــعرية زمكانـــية معينة لا يمكن أن تصل ترتيباتها التقنية حد المسخ أو القفز من فوق حدود الأصل. تلك بعض أولويات ومرتكزات الدرس الترجماتي.

فإلى أي حد وصل الالتزام بهذه (الطرائقية) في العمل ؟

نعـــتقد أن المـــتابعة الواعـــية لكلتي الترجمتين – فرنسية وعربية – لا محالة موقعة قدرات المتلقي المزدوج اللغة فيما يشبه حالة من حالات الارتباك الفكري الرهيب، حالـــة متأتية من التناقض الكلي الملحوظ على المؤدى الفكري لكلتي الترجمتين، عربية وفرنسية. كيف ذلك ؟

إن مـــا جـــاءت بـــه الترجمة العربية عموما من قناعات فكرية يمكن حوصلة مؤداهـــا في كون جان دارك كانت محط عناية ورعاية متميزة من قبل كل من شكسبير وفولتير، في حين لم ينلها على يد أمثال "شيللر" الألماني و "مارك توين" و "أندري لا نغ" إلا صنوفا من الخسف والتعسف. ذاك ما ترشح به النسخة العربية.

أمـــا إذا نحن جئنا إلى الترجمة الفرنسية تبدى للعيان جليا أن الطرح الفكري المستحضـــر عـــبر ســـطورها طرح معكوس السهم تماما قياسا إلى ما جاء في النسخة العربية، وبالتالي ، إن جان دارك، في النسخة المفرنسة تبدو فتاة ملفوظة مرفوضة المثال وعلى السواء من قبل المؤلف الإليزابيتي شكسبير وتابعه الفرنسي "فولتير" .

إنها تغدو على يديهما ساحرة وعاهرا داعرا وأكثر. نقد وانتقاد حاقد لا حدود لـــه: تلـــك قصوى حظوتها من سواد مداد الرجلين ، على خلاف ما كان لها من أشكال المناصرة والمؤازرة وهي في ضيافة كل من "شيلر" و "أندري لانغ"، وسواهما.

والسؤال: إلى أي الموقفين المتنافرين نركن وبرأي أي المترجمين نأخذ ؟

إن البت في مثل هذه النزاعات الفكرية لا نتصوره يتيسر إلا:

أولا: بمســـاءلة النص المصدري وفي اللغة المسطور بها أول مرة (وهو هنا نص قد خط من قبل<<فريديرك إوين>> باللغة الإنجليزية) وهذا في محاولة التحســـــس

للفكرة والإحاطة بحدودها كما وردت مؤولة عند صاحبها أول وهلة ، وقبل انحشارها في مـــنعرجات نفـــق الترجمة، وهو للأسف الشديد ، ما لم يتيسر لنا الالتزام بشرطه لعدم توفرنا على طبعة الكتاب بلغته الأصلية.

ثانـــيا: لـــربما من باب تحري الدقة فيما تقدم به المتن النقدي من آراء أو ما خلـــص إلـــيه مـــن استنتاجات و استبعادا لبعض الأشكال من المزايدات الملاحظة على القـــراءة النقدية التأويلية, لا ضرر و لا ضرار على المترجم أو المحقق في الترجمة إن راح عـــودا على بدء يسائل و يستقرئ جملة النصوص الإبداعية عينها التي اتكأ عليها صـــاحب الكـــتاب (و نعني بها مسرحيات كل من شكسبير و فولتير و شيللر) للتأكد من صـــحة الاســـتنتاج النقدي, و في هذا الفعل ما يكسب عمل المترجم طابع الفعل النقدي الخاص بتحقيق المخطوطات و يطرح عن كاهل الترجمة الكثير من التهم المجانية القائلة بطابعها الميكانيكي الاسترقاقي و إن لم يكن العقم الفكري بعينه.

الحق نقول إن في رحلتنا الاستكشافية لترجمة إبراهيم العريس, راعنا كثيرا ما قـــد وقفنا عليه من أشكال الزيغ عن جادة المتن و التشويهات التي لا نرى في المقام ما يســـمح برصدها في دقائقها لأن في ذلك ما يعني استرجاع الجزء الأكبر من ترجمة لكم كنا نأمل, و الكتاب في طبعته الثانية, أن يعمد صاحبه العربي إلى إعادة النظر فيه مثنى و ثلاثـــا لتدارك هفوات لا يخلو منها على الإطلاق نص المترجم, لكن ما العمل و نحن نســـجل بأســـى و أسف شديدين غياب تقليد أدبي بل و مبحث نقدي راسخ الأسلوب عند الألمان يُعرف ب Ubersetzungskritik ينهض درسه على غربلة و مراجعة المترجمات وصولا إلى تقويم فتقييم و استخلاص للعبر و لربما ترشيد التجارب في هذا الصدد: وهو كل مبتغانا من وقفة لا نريدها إلا محاولة للدفع بالخطوط الثقافية العربية في اتجاه التلاقي و إخراجها من حالة توازٍ قاتلة و الدخول في حالة تقاطع و تفاعل و تصادم، – و لم لا؟ – و قـــد تكفـــل لهـــا تفاعلية ففاعلية على الساحة المعرفية الكبرى. إنه حُلم غال نتعلق بأمراسه على أمل تحققه يومًا.

لكـــن فـــي انتظار حدثه المشهود و على أوسع نطاق, لنعد إلى نص الفاضل إبراهـــيم العـــريس و لتكـــن الوقفة الأولى عند حد العبارة التالية, و هي خاصة بأشكال التوظيفات الأدبية المرتبطة بتيمة جان دارك على أكثر من صعيد ألسني و قومي: العبارة المفرنسة:

Shakespeare et Voltaire l' avaient couverte d' opprobre

لقد ترجمها إبراهيم العريس على النحو التالي:

" و كان شكسبير و فولتير قد أمطراها بوابل من الثناء."

فمن النظرة الأولى يتبدى جلّيا أن الترجمة العربية لا تكاد تستحضر العبارة الأجنبية لا فـــي مبنى و لا معنى لها, بل إنها لتُبحر في الاتجاه المُعاكس تماما لها, ذلك أن لفظة opprobre فـــي المُعجم الفرنسي لم تُؤشر قط على معنى آخر غير معنى الخزي و المذلة ولباس الهون و الهوان. و بالتالي, فإنها لا تُوحي بأي معنى من معاني الثناء و لا تُحانيه حتى.

و الســـؤال: كيف زلت القدم بفاضلنا إبراهيم العريس فسقط السقطة هذه و في مطبة بمثل هذا العُمق السحيق؟

الســـطور اللاحقة تتطلع إلى تقديم تعليل شبه ضاف و كاف لما حدث. لذلك, يتعين استتباع قراءة العبارة السابقة بأخرى تالية لها و قد جاء فيها:

Friedrich Schiller, Andrew Lang, Mark Twain l' avaient portée aux nues

قد ترجمها المترجم العربي على النحو التالي: " أما فريدريك شيللر و أندرو لانغ ومارك توين فقد عروها تعرية"

و الســـؤال: إلـــى أي حد راعى مُترجمنا جانب الأمانة العلمية في نقل الجملة الفرنسية؟

دون تحـــامل لكـــن دون أدنى مُجاملة, لنقُـــل أن عنصر الأمانة العلمية هاهنا معدوم الأثر جملة و تفصيلا. فالحديث المزعوم من قبل المترجم العربي عن تعرية لجان

دارك, بمعنى الإهانة و الإدانة, التي اقترفتها يدا كل من "شيللر" و "مارك توين" و "أندري لانـــغ": حديـــث مُثقول يرجم بالغيب رجمًا, و نأسف لكبيرة كهذه تقلب الحقائق الكبرى وتـــترجم مدى استخفاف مُترجمينا بأبسط مُستلزمات الدرس و قواعد اللعبة إذ المُفترض فـــي كـــل مُترجم مُحترم بل و المفروض عليه التزام حدود الاختصاص لحظة الانتقاء لمترجماته و تلافي كل أشكال التطاول – ولا نقول التطفل على حقول لربما كانت ملكية للغير أما الدراية المدققة بمعجم اللغة المترجم عنها وبخاصة ما يعرف بالتعابير الجاهزة Expressions idiomatiques ou figées ومـــثلها الألفاظ المتجانسة Homonymes فنتصور القول بها من البديهيات المسلمات التي نود الإشارة إليها اضطرارا هنا ومن باب التذكير لا غـــير، ونحسب أن عند حجرها، للأسف البالغ، قد تعثر جواد المترجم العربي فراح، فـــي عجلـــة مـــن أمره، يقرأ لفظة Nues على أساس المعنى الشائع الذائع لدى جموع الدهماء والذي يفيد العري Nu وما هو المعنى الراشح من السياق النصي ذاك أن اللفظة الواردة بصيغة الجمع طي النص لا توحي:

1)لا لفظـــا معجميا – بمعنى العري أو ما أشبهه وإنما بمعنى خاص ودقيق يرادف لفظ السحب المتراكمة.

2) ولا سياقا عاما: فاللفظة لا نحسبها ترشح بما قد يرشح به فعل فرنسي من قبـــيل: Dénuer ونظـــيره الصـــريح dévêtir وتركيب جاهز: كـــ Mettre au poteau أو Mettre au pilori.

وعليه، فاللبس الحاصل ما بين

– لفظ Nues (الوارد نصا على هيئة اسم).

– و Nu كصفة (المترجم عنها خطأ).

مـــرده هـــذا الطابع الجناسي المضلل للفظ والذي زاد في هوته عمقا إشكالية ورود فعـــل couverte l'avaient (بمعـــنى التغطـــية والإلباس) في عبارة لاحقة تتعلق

بأسلوب شكسبير في التوظيف لشخصية جان دارك، الشيء الذي وسوس للمترجم العربي بفكرة الثنائية التقابلية فيما بين: اللباس/العري.

فكان الناتج عن هذا التوالي لكلمتين: l'avaient couverte و Nues وفي سياق عبارتيـــن متعاقبتيـــن توالـــيا نحمله تبعة ما حصل للمترجم العربي من زيغ عن الجادة وانسياق ساذج وراء طابع اللفظتين المتناقض، فكان أن عول المترجم العربي على معنى إحداهما لاستخلاص واستنتاج دلالة اللفظة الأخرى. وما هكذا تورد الإبل في الترجمة.

إنـــه الخطأ الذي كان بالإمكان تجنيب قارئنا العربي انعكاساته المعرفية الخطيرة لو أن أستاذنا إبراهيم العريس كان:

أولا: صاحب إلمام واهتمام خاص بموضوعة جان دارك وتوظيفاتها المتباينة في الأدب العالمي. فالموضوعة قد زوبعت الحبر في دواة الكتبة من كل صوب وجدب. فكان منهم الناقد الحادق وكان فيهم المحامي المساند. لكن المستبعد حدوثه فنحسبه تعاطفا أدبيا يفد وافده من جهة اليزابيتي كشكسبير عاصر التزمت الوطني وقد بلغ الذروة. فنصه "هـــنري السادس" "أو المنسوب إليه" يرشح بالسم النقيع في حق هذه القروية التي تمكنت فـــي وقت سابق من تعفير جبهة الإنكليز في وحل الهزيمة المرة تلو الأخرى. فالتعاطف معهـــا يعني في هذه الحالة مناوأة النظام الإليزابيتي المتورم الغدة الوطنية،أن لم يعن، جهارا نهارا، العمالة للطرف الأجنبي.

– كما لا يمكننا التخمين ثانية أن يصيب جان دارك قدر من التعاطف على يد فولتير ذي النزعة المعادية عداء مريرا لكل ما يمت بصلة إلى الكنيسة وإكليروسها. ومن عساها تكون "جان دارك"،أن لم تكن إحدى الرموز البارزة لتلك المؤسسة المسيحية القائلة بـــالقوى الغيبية وسلطانها الخارق للأعراف. إن العودة إلى نص La pucelle d'Orléans

لفولتـــير، سواء في صفحته الأولى أو الوسطى أو الأخيرة من شأنه أن يفصح بالحرف التاجي عن نوايا إجرامية لفيلسوف الأنوار (الأنغلوماني) في حق ابنة وطنه.

وعلى العكس منهما تماما، موقف لمسرحي ألمانيا وشاعرها (فريديرك شيللر) كمـــا يـــتجلى من نصه المسرحي die Jungfrau von Orleans "عذراء أوليان" إنه نص يستحضر العنوان الفولتيري ثانية بغية النقض لأطروحته. فأن التأثر القائم ما بين العملين يـــتموقع ضمن خانة ما يعرف في الأدب المقارن بـــ (التاثير المعكوس l'influence à rebours) النص المسرحي لشيللر نص يحضر لنجدة فتاة مثالية الأنموذج واقعة بين براثن كتـــبة من جنس فولتير و شكسبير. وبالتالي، فحديث إبراهيم العريس عن تعرية وتحامل في هذا الصدد من قبل الكاتب الألماني "شيللر" حديث يترجم عدم دراية كافية بالنصوص المنطلق منها ناهيك عن تواريخ آدابها. أما الجهل باللغة المترجم عنها فحدث ولا حرج.

– ثانـــيا: لـــو هـــو المترجم الفاضل جشم النفس مشقة الانطلاق من الأصل الإنجليزي أو الرجوع إليه على الأقل لأننا لا نتصور أن يكون في العبارة المؤدية لمعنى الســـمو بالشيء أو الارتفاع به في اللغة الإنجليزية ما يحتمل لبسا لابتعاد صياغتها عن مدارات الجناس والتشاكل اللفظي بأشكاله، فمعنى السمو بالشخصية قد يؤديه تركيب من قبيل TO PRAISE SOMEONE TO THE SKY أو فعل ك TO ELEVATE .

ومن ثم، يحق لنا الزعم أن الترجمة العربية ترجمة أنجزت تعويلا على اللغة الفرنسية، بمعنى آخر أنها ترجمة الترجمة: وهذه لعمري آفة من الآفات المتمكنة من قلم الـــترجمة عربيا والتي– إن اسهمت في سد ثغرات في الجانب الكمي– إلا أننا لا نراها ذات يـــد بيضاء على أفقه النوعي. فالترجمة تعريفا، فعل حضاري يتوق عبر مقاومات شتى للغة والخصوصيات الحضارية إلى استحضار الذات الأخرى في أناه الشخصية ولا يمكـــنه تحقـــيق ذلك الحلول بالمعنى الصوفي دون تسجيل خسائر. إنها خسائر قد تعظم

وتجسم بقدر ما تسلكها الترجمة طرقا ملتوية متعرجة عبر مواشير لغوية متعددة. فالترجمة عن الترجمة فعل يعمق من هوة الانكسار اللغوي بوصفه مظهرا يضاهي في أكثر من وجه له الظاهرة الفيزيائية، إذ قدر البعد والابتعاد عن الأصل اللغوي تزداد تعمقا زاوية الانحراف عن المتن النصي، ويغدو بموجبها الخطأ لربما خطيئة والخيانة المستظرفة خيانة عظمى.

ودوما في الإطار اللغوي، نعتقد أن من بين الصعوبات الجمة التي فتئت تعترض سبيل المترجم- شرقيا كان أو غربيا- هو ما تعلق بما يعرف بالتعابير الجاهزة الخاصة بكل لغة والمعروفة في الفرنسية بـ:GALLICISMES أو إنكليترا ANGLICISMES أو بالعربويات إن صحت التسمية عربيا، أضف إلى ذلك عائقا من نوع آخر يتمثل في أشكال التجانسات اللفظية وإن كان لا مناص من تصنيف مصدر خطأ الأستاذ إبراهيم العريس في خانة بعينها، فإننا لن نتردد في إدراجه ضمن قائمة الأخطاء الجناسية. إنه مزلق خطير وقع في مصيدته أكثر من مترجم ومترجم. و للتمثيل على بعض انعكاساته السلبية على نوعية الترجمة سنحاول الاستعانة ببعض الوقائع المحفوظة في سجل السوابق للترجمة تمثيلا على خطوة "الحاجز الرياضي" وصعوبة تخطيه:

فقد أورد عبد الواحد لؤلؤة (1) في إطار تعليقات خاطفة على محاولات خاصة بترجمة نص الأرض الخراب أن أدونيس قد ضل الطريق حين ترجم لفظة SWALLOW على أساس كونها فعل أمر مستمد من TO SWALLOW بمعنى <<أبلع أبلع" وما الأمر يتعلق نهاية الأمر إلا بطائر السنونو الذي يشاكل اسمه المعجمي هيأة فعل "بلع ،يبلع" ومثله ما أقدم عليه الكاتب الفرنسي GIDE في ترجمته لـ ARM الإنجليزية في نص هاملت لشكسبير على أساس أنها تؤشر على معنى "سلاح" أقربها من نظيرتها الفرنسية ARMES وذلك بدل "ذراع" كما يوحي به سياق لموقف يمشهد حنق هاملت

المستوعد شرا زوج أمه في الفصل الخامس. المشهد الثاني (2) من مسرحية هاملت، ومؤداها في لغته الأصلية.

..IS'T PROFECT CONSCIENCE
TO QUIT HIM WITH THIS ARM... ?

إنه إنصراف عن المعنى المعجمي لم يستهجنه البتة كاتب ومترجم مشهود له بالباع الطويل في اللغتين يدعى JULIEN GREEN بل إنه عرض في كتاب له بعنوان LE LANGAGE ET SON DOUBLE (3) حولا يشاكل الحور فتقبله قبولا حسنا: أمثلة لا يشكل الإنزياح المسجل في فهم دلالتها السياقية –لا– القاموسية إلا هنة هينة لا تخلو من غمزاتها ترجمة ما. لكن تلك الجنحة قد تغدو في لحظة الاشتغال على نص مقدس ضربا من الجناية الكبرى.

وتدليلا، لا بأس أن نستعطي كتاب MAURICE BUCAILLE الموسوم بـ: LA BIBLE LE CORAN ET LA SCIENCE مثلا على ذلك تضمنه هامش لصفحة 90 (4) خاص بكيفية الترجمة للفظة اليونانية ADELPHOI ADELPHAI .لقد دأب المترجون على تأويل دالتها المعجمية على معنى الأخوة البيولوجية فكان المترتب عن هذا القصور أو التقصير في تدقيق الحد الدلالي لهذا اللفظ "الجناسي" أن أوجد زورا وجورا إخوة للمسيح عيسى بن مريم: وفي ذلك ما يتناقض والمتداول تاريخا. ولا نحسب المتهم الأول والأخير في هذا المضمار آخر غير السلوك المتسرع لمترجم ادمي لم يختلف كثيرا في تعامله مع المعطى السيمانتيكي الدقيق للفظة عن أسلوب الحواسيب ذات الذكاء الالكتروني، إذ بدل التصرف الواعي الحذر حيال اللبس الدلالي الطالع من ضلع الجناس اللفظي ADELPHOI ADELPHAI فإن المترجم، انساق دون ترو وراء معنى الأخوة بمفهومها البيولوجي، الأمر الذي تسبب في خلخلة قناعة عقائدية مؤسسة لعظمة

الرمـــز المســـيحي بوصـــفه مولـــود الخلـــق الربانـــي المعجز والمعروف اصطلاحا علمـــيـــــــا بـــــ LA PARTHENOGENESE الأخوة المستهدفة في النص المسيحي المقـــدس أخوة تؤشر عليها آية من قبيل "وارلسنا إلى عاد أخاهم هودا" وهي غير تلك التي تعنيها اللفظة ذاتها في قوله تعالى "إخوان الشياطين" .

هذا، ولم تنج لفظة "أخت" بصيغتها المؤنثة هي الأخرى من التأويل المسطح الأناكروني. تأويل ليس من السهل إعفاء أو تبرئة فعله من نوايا تآمرية تستهدف الطعن في القناعات العقائدية. فهذا المترجم "كازيميركسي" ومثله "بلاشير" مثلا لا يتورعان عن ترجمة "أخت"، في قوله تعالى "يا أخت هارون ما كان أبوك أمرء سوء وما كانت أمك بغـــيا" (مـــريم 28) على النحو التالي: O SOEUR D'AARON أي على أساس معناها البيولوجي، بحيث تغدو "مريم" بموجبه أختا لهارون، وبما أن هذا الأخير يعد أخا لموسى، فبالتالـــي فـــإن مـــريم تصبح تخريجا واستنتاجا أختا بيولوجية للنبي موسى. وما ذاك بالمقبول منطقا تاريخيا وإن حاول تمريره مؤرخ من حجم " فيليب حتي" عرض صفحة "مشـــبوهة" من صفحات كتابه التاريخي الموسوم "تاريخ العرب" حين كتب في الصفحة 172 "ومـــريم أم عيســـى هـــي بنـــت عمران وأخت هارون في آن واحد"(5) فالأخوة المستهدفة باللفظ أخوة تقول التشاكل الخلفي الإيماني، ولا ظل فيما ولا اثر لمعنى علاقة رحمية بيولوجية كما اقترف خطأه بعض مترجمي معاني القرآن.

إنـــه مثل هذا الاصرار على التشبث بالحد الدلالي العائلي البيولوجي الدقيق نلحظـــه على ما ورد في توراتهم إذ نسبوا إلى إبراهيم عليه السلام كونه اقترن بأخت، وهـــذا لا شيء إلا أنه أجاب فرعون وقد سئل عن سارة أنها أخت له، ههنا يخرم سياق العـــبارة ويبتر شر بتر على النحو المعهود لدى بني إسرائيل، بدل أن يرفد بما تبقى من حروف يوردها في تعليق له صاحب "الفصل في الملل والأهواء والنحل" العالم ابن حزم

الطاهري الذي يذكر أن ابراهيم كرر لفرعون في كلتا المرتين "هي أختي بنت أبي لكن ليست من أمي" (6).

ولأن لفظة "أخت " فيما ذكر الغزالي "لفظة تقع في العبرانية على الأخت وعلى القريبة" (7) فقد تدارك مصححو ومنقحو نسخ التوراة المتلاحقة الخطأ ذلك بحيث لم يتمكن محقق نص ابن حزم من الوقوف له على أثر فيما استجد من الطبعات (8)

أمثلة وأمثلة بالإمكان المضي في استعراض قائمتها الطويلة تدليلا على ضرب من ضروب التعامل الساذج مع البعد الدلالي لألفاظ تحمل في هيولاها طبعا سيمانتيكيا يتلون بحسب طبيعة المقام والمقال والذي إن كان للآلة المترجمة عذرها المقبول ان لم تتمكن من القبض على معناه الدقيق الحقيق، فإن الأمر لا تنسحب مسطرته على عنصرها البشري.

وبالتالي، إن التسرع في الأخذ بالدلالة المعجمية في غير اعتبار يذكر لخصوصيات السياق ومقتضياته قد يوقع المترجم فيما لا تحمد عقبى. فالترجمة الآلية لا نتصورها تقف في مهمتها عند حدود ذلك الفعل الآلي المسعف حاسوبيا والمعروف اصطلاحا بـ: TRADUCTION ASSISTEE PAR ORDINATEUR أو اختصار TAO فالترجمة تلك لم ترق حد الساعة ولا نتصور أن يكون بمقدورها في العاجل القريب الارتقاء إلى مستوى التمييز ما بين SENS و SIGNIFICATION والإنتقاء الواعي المؤسس للمدلول بحسب تموقعاته في المتوالية السياقية، أو بتعبير آخر، لن يتأتى لها بالسير المتوهم التغلب على الأشكال السيمانتيكي القائم ما بين الدالة التقريرية DENOTATIVE من تلك الأخرى CONNOTATIVE المحاذية التي قد تصل بعض الأحيان حدود التضاد مثلما تكشف عنه بطون القواميس لسائر اللغات وعلى رأسها العربية فالحضور الآدمي في أكثر من مجال للترجمة، وبخاصة ما تعلق بالأدبية منها،

لا نتصـــوره قابلا للإلغاء مع الأيام القليلة المقبلة وإن تلك خدمات للحسابوب أختزلت أكثر من مرحلة شاقة ومرهقة في عمله الاستعبادي. إنها "مسعفات للحاسوب" بوسعها أن ترفد الجهد البشري ولا يمكنها راهنا أن يستغني ذكاؤها الاصطناعي عن ذكائه الطبيعي فيصبح في مقدورها تبين أي المعنيين للفظة MINUTES الفرنسية يتعين الأخذ به ضمن سياق النص المترجم من قبل إبراهيم العريس. أيكون المستهدف دلاليا معنى سائدا دارجا لوحدة زمنية ك "الدقائق" كما شاء لها المترجم العربي، أم المنشود معنى خاصا لمصطلح قضـــائي يطلق على "الصورة الأصلية للعقد الرسمي أو للحكم أو للمحضر الموقعة من المـــأمور المكلـــف وتـــبقى مودعـــة لديه ولا يعطى لذوي الشأن إلا صور منسوخة منها " (9).

الهوامش

1) لؤلؤة (عبد الواحد): ت.س إليوت، الأرض اليباب، الشاعر والقصيدة . ط/1بيروت/المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (1980)، انظر: ص.68.
2) Shakespeare (W), *Hamlet, G.B.* Penguinbooks, (1980).
3) Green (Julien), Le langage et son double, Paris, ed. de la différence, (1985),cf/ journal du 16/10/1945.
4) Bucaille (Maurice), La bible, le coran et la science, Alger, Sned, (1978) p.99.
5) حتى (فليب) تاريخ العرب (مطول) ط:4، بيروت، دار الكشاف، (1965)، ص. 172.
6) ابن حزم (أبي محمد): الفصل في الملل والأهواء والنحل/ج1، بيروت،دار الجيل، دت، ص. 223.
7) ننقل القول منسوبا من قبل ابم حزم الى ابن يوسف الكاتب المعروف باسم المغرالي /راجع، ابن حزم (أبي محمد): الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 1 ص.223.
8) المحققان هما محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة/ انظر هامش رقم 201 من صفحتي 225 و 226.
9) ابراهيم نجار / احمد زكي بدوي / يوسف شلالا: (تأليف مشترك) القاموس القانوني – فرنسي /عربي، بيروت / مكتبة لبنان (1983)، ص.193.